رابط المادة على منصة باحث

تفسير ابن كثير

تفسير ابن كثير | شرح الشيخ عبدالرحمن العجلان | 04- سورة التوبة | من الأية 501 إلى 601

عبدالرحمن العجلان

بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله رب العالمين. والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى اله وصحبه اجمعين وبعد اعوذ بالله من الشيطان الرجيم وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون. وستردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما - 00:00:00
كنتم تعملون واخرون مرجون لامر الله اما يعذبهم واما يتوب عليهم. والله وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون. وستردون الى عالم الغيب والشهادة. فينبئكم قم بما كنتم تعملون. تقدم قبل هذه الايات - 00:00:30
ذكر شيء من احوال المنافقين وصفاتهم وترغيبهم في التوبة ثم تقدم اتى بعد ذلك الذكرى السابقين الاولين من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان ثم ذكر بعد ذلك الجماعة الذين تخلفوا عن النبي صلى الله عليه وسلم - 00:01:05
في غزوة تبوك ولم يكن ذلك لنفاق وشك وانما هو لكسل واخلاء الى الراحة ورغبة في البقاء بين الاهل والاولاد وتنمية الاموال وقد تاب الله جل وعلا على هؤلاء المتأخرين - 00:01:46
الذين لم يغزوا مع النبي صلى الله عليه وسلم واظهروا توبتهم وندمهم على ما فرط منهم وقدموا الى النبي صلى الله عليه وسلم جميعا اموالهم اظهارا لصدقهم في التوبة صدقة - 00:02:18
يضعها رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث اراه الله فردها عليه الصلاة والسلام عليهم وقال اني لم اومر باخذ اموالكم انزل الله جل وعلا خذ من اموالهم صدقة تطهرهم - 00:02:44
وتزكيهم بها فاخذ صلى الله عليه وسلم شيئا من اموالهم ولم يأخذها كلها ثم قال جل وعلا بعد ذلك امرا للنبي صلى الله عليه وسلم بان يقول للعموم من مؤمنين - 00:03:05
سابقين ومن منافقين ومن من تخلف لا عن نفاق ولكن كسل قل للجميع اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله ففي هذا تهديد ووعيد للمنافقين والمثبطين عن العمل الصالح وفيه ترغيب وتشجيع - 00:03:32
للمؤمنين بالمبادرة بالاعمال الصالحة قبل فوات الاوان وقل قل يا محمد امر الله جل وعلا عبده ورسوله محمدا صلى الله عليه وسلم ان يقول للجميع وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون. عملكم - 00:04:16
سيراه الله جل وعلا ان خيرا فخير ايثيوبكم عليه خيرا في الدنيا والاخرة وان كان العمل شرا فيراه جل وعلا ولا تخفى عليه خافية ويجازيكم ويعاقبكم به سيرى الله عملكم - 00:04:49
وهو جل وعلا يطلع عباده على ما شاء فقد يسر العبد السريرة من العمل الصالح ويحاول اخفاءه فيظهر للناس من دون ان يشعر فيحمده الناس عليه ويسر بذلك ولم يعمله من اجل الناس - 00:05:12
وانما عمله من اجل الله جل وعلا لكنه يسر اذا اطلع على عمله الصالح وقد سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن هذا هل يكون هذا من الرياء فقال عليه الصلاة والسلام لا - 00:05:44
هذه عاجل بشرى المؤمن يسر بعمله ويطلع عليه من دون ان يقصد هو ذلك فسيرى الله عملكم ورسوله يطلع الله جل وعلا رسوله وعباده المؤمنين على اعمال الناس يطلعون عليها في الدنيا - 00:06:05
ويطلعون عليها في الدار الاخرة عند الحساب حينما تتطاير الصحف وتنشر الدواوين ويحاسب الله جل وعلا الخلائق تظهر الاعمال

الصالحة للناس كلهم ويسر المرء بنجاحه ويطلع اهل الموقف على ذلك - 00:06:36
كما ان الاعمال السيئة والقبيحة يطلع الله جل وعلا عليها الناس فقد يخفي العبد في الدنيا سريرة نية سيئة فيظهرها الله جل وعلا من حيث لا يشعر هو فيمقته الناس - 00:07:08
ويكرهونه لذلك وفي الدار الاخرة حينما تنشر الدواوين وتتطاير الصحف يفضح بعض الخلائق الذين اظهروا الخير وابطن الشر ينفضحون امام الملأ بين يدي الله جل وعلا لان الله جل وعلا يحاسب العباد على ما في قلوبهم - 00:07:38
وعلى ما اظمروه واعتقدوه فما كان من حسن اثاب عليه جل وعلا ومن كان من سيئ عاقب عليه ان لم يعفو ويتجاوز جل وعلا وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون - 00:08:11
وورد في الحديث ان عمل المؤمن الخير يطلع عليه اقاربه الموتى يطلعون عليه فيسرون بذلك يسر اقاربه الاموات بعمله الحسن الذي قدم كما ان عمل المرء السيء يطلع عليه اقاربه الاموات - 00:08:31
فيسوؤهم ذلك ويسألون الله بالا يميته حتى يتوب ويقلع الاعمال الصالحة يطلع عليها كما ان الاعمال السيئة كذلك يطلع عليها. في الدنيا وفي الاخرة وفي البرزخ وقل اعملوا اعملوا ما شئتم - 00:09:02
من خير او شر الله جل وعلا مطلع عليه اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون. وستردون الى عالم بالغيب والشهادة الرؤية من الجميع يراه الله جل وعلا ويطلع عليه عباده - 00:09:34
واما الحساب وتولي ذلك الله جل وعلا يتولاه والعبد مردود الى ربه جل وعلا وفي هذا قيادة تهيج وحث على الاعمال الصالحة وتنفير وابعاد للمؤمن عن الاعمال السيئة اذا علم انه مردود الى خالقه - 00:10:08
مردود الى الله جل وعلا وسيتولى حسابه على ما قدم من عمل. ان خيرا فخير وان شرا فشر وستردون الى عالم الغيب والشهادة. مرجعكم ومردكم الى الله جل وعلا في الدار الاخرة - 00:10:39
انبئكم يخبركم بانه جل وعلا اعلم بما العباد عاملون يعلم ما عمله عباده من خير وشر وقد يكون العمل في ظاهره الخير لكن المرء غير مخلص فيه فلا يجد لعمله ذلك ثوابا عند الله جل وعلا - 00:11:03
لان الله جل وعلا لا يثيب على عمل الا اذا اريد بهذا العمل وجهه وهو جل وعلا لا يقبل عملا له ولغيره كما ورد في الحديث ان الله جل وعلا يقول انا اغنى الشركاء عن الشرك - 00:11:33
من عمل عملا اشرك معي فيه غيري تركته وشركه فمن عمل عملا يقصد به وجه الله ووجه غيره الله جل وعلا غني عنه ويتركه للذي اشرك ويقال للمراءين يوم القيامة - 00:11:52
اذهبوا الى من كنتم تراءونهم في الدنيا هل تجدون عندهم ثوابا فينبئكم يخبركم بما كنتم تعملون يعني بجميع اعمالكم يخبركم بها الخيرة يثيبكم عليها الشريرة يعاقبكم عليها ان لم يعفو ويتجاوز جل وعلا - 00:12:15
سم بالله اعوذ بالله من الشيطان الرجيم وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون. وستردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون قال العماد ابن كثير رحمه الله تعالى - 00:12:44
قال مجاهد هذا وعيد يعني من الله تعالى للمخالفين اوامره بان اعمالهم ستعرض عليه تبارك وتعالى وعلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى المؤمنين. وهذا كائن لا محالة يوم القيامة. كما قال يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية. وقال تعالى - 00:13:09
يوم تبلى السرائر يعني يظهر ما بها السرائر القلوب وقال وحصل ما في الصدور وقد وقد يظهر الله تعالى ذلك للناس في الدنيا كما قال الامام احمد حدثنا حسن بن موسى حدثنا ابن لهيعة حدثنا دراج عن ابي الهيثم عن ابي سعيد مرفوعا - 00:13:39
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لو ان احدكم يعمل في صخرة صما ليس ليس لها باب ولا قوة لاخرج الله عمله للناس ما كان وقد ورد ان اعمال الاحياء تعرض على الاموات من الاقرباء والعشائر في البرزخ. كما قال ابو داوود - 00:14:06
كما قال ابو داوود الطيالسي حدثنا الصلت ابن دينار عن الحسن عن جابر بن عبدالله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان

اعمالكم تعرض على اقربائكم وعشائركم في قبورهم فان كان خيرا استبشروا - 00:14:33
وان كان غير ذلك قالوا اللهم الهمهم ان يعملوا بطاعتك وقال الامام احمد تنبأنا عبد الرزاق عن سفيان عن من سمع انسا يقول قال النبي صلى الله عليه وسلم ان اعمالكم تعرض على اقاربكم وعشائركم من الاموات. فان كان خيرا استبشروا به وان كان غير - 00:14:55
قالوا اللهم لا تمتهم حتى تهديهم كما هديتنا. وقال البخاري قال عائشة رضي الله عنها اعجبك حسن عملك حسن عمل امرئ مسلم فقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وقد ورد في الحديث شبيه بهذا قال الامام احمد حدثنا يزيد حدثنا حميد عن انس ان رسول الله - 00:15:23
صلى الله عليه وسلم قال لا عليكم ان تعجبوا باحد حتى تنظروا بما يختم له. فان العامل يعمل ايمانا من عمره او برهة من دهره. بعمل صالح لو مات عليه دخل الجنة. ثم يتحول فيعمل عملا - 00:15:53
وان العبد ليعمل البرهة من داحره بعمل سيء لو مات عليه دخل النار ثم يتحول فيعمل عملا صالحا. واذا اراد الله بعبده خيرا استعمله قبل موته. قالوا يا رسول الله وكيف يستعمل؟ قال يوفقه لعمل صالح ثم يقبضه ثم يقبضه عليه تفرد به الامام احمد - 00:16:13
من هذا الوجه فهذا الحديث وامثاله يجعل العبد على وجل وخوف من سوء الخاتمة ويجعله يتضرع الى الله جل وعلا دائما وابدا ويسأله حسن الختام ويسأله الثبات على الطاعة وعلى الاستمرار عليها - 00:16:41
لانه كما ورد في هذا الحديث وفي غيره من الاحاديث ان العبد ليعمل بعمل اهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع. فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل اخر النار فيدخلها - 00:17:03
فعلى العبد ان يجتهد في التضرع الى الله جل وعلا في ان يسأله الثبات على الطاعة وان يسأله الاستمرار على محبته وطاعته وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم وان يحذر ما يصرفه عن ذلك - 00:17:21
فاذا وجد او اقبل على امر وجد ان فيه صرفا له عن طاعة الله او تثبيتا عن طاعة الله او اغراء في المعصية ان يبتعد عن ذلك وان ينفر منه. ولو حصل عليه ما حصل من امر الدنيا - 00:17:44
ويجعل المؤمن على وجل وخوف من ان يختم له بعمل سيء فيكون من اهل النار وعليه ان يجتهد في الطاعة والا يتكل على عمل عمله من قبل فليستمروا في العمل الصالح ويحاول ان يزيد في كل حين - 00:18:03
يحاول ان يزيد في العمل الصالح وان يستمر على ما كان عليه. ولا يتكل على عمل عمله من قبل ويسوف لنفسه ويمهل و يتساهل بالاعمال الصالحة وقد يتساهل في فعل بعظ السيئات اتكالا على عمل عمله من قبل وانه عمل - 00:18:24
صالح فليحذر ان يستدرجه الشيطان فيوقعه في الشر فيختم له بسيء عمله فيكون من اهل النار والعياذ بالله يقول الله جل وعلا واخرون مرجونا لامر الله اما يعذبهم. واما يتوب عليهم والله عليم حكيم - 00:18:47
واخرون تقدم لنا ذكر احوال المنافقين الذين تخلفوا عن النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك وتقدم ذكر جماعة تخلفوا عن الغزوة مثلا واخلادا للراحة ورغبة في البقاء مع الاهل - 00:19:13
والولد لا لنفاق وانما كسل وقد انقسموا الى قسمين اسم تابوا وبادروا بالتوبة وربطوا انفسهم بسواري المسجد فتاب الله جل وعلا عليهم وقسم وهم الثلاثة كعب بن مالك وهلال ابن امية - 00:19:46
ومرارة ابن الربيع هؤلاء الثلاثة تخلفوا عن غزوة تبوك ولم يكن لنفاق ولم يربطوا انفسهم بسواري المسجد كما فعل الاخرون فامر النبي صلى الله عليه وسلم الصحابة بهجر هؤلاء الثلاثة - 00:20:19
ونهاهم عن تكليمهم فاجرهم الصحابة رضي الله عنهم وامر هؤلاء الثلاثة في ان يعتزلوا نساءهم ولا يمسوهن فقال جل وعلا عن هؤلاء الثلاثة واخرون مرجونا لامر الله جماعة ظهر نفاقهم - 00:20:43
وجماعة تابوا وربطوا انفسهم بسواري المسجد فتاب الله عليهم واخرون هؤلاء القسم الثالث من المتخلفين واخرون مرجوون لامر الله مرجونا من الارجاء وهو التأخير اي مؤخرون لامر الله لما يريده الله جل وعلا بهم - 00:21:14

تأديبا لهم وتأديبا لغيرهم من المؤمنين عن ان يتخلفوا عن النبي صلى الله عليه وسلم فاخر الله جل وعلا توبتهم وارجأها ومضوا على هذا وقت طويل كما وصف الله جل وعلا حالهم بعد ذلك - 00:21:43

وقد ضاقت عليهم الارض بما رحبت كما قال جل وعلا حينما انزل توبتهم فتوبتهم نزلت في اخر السورة في قوله جل وعلا لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار ثم قال جل وعلا وعلى الثلاثة الذين خلفوا - 00:22:08

حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت وضاقت عليهم انفسهم وظنوا ان لا ملجأ من الله الا اليه. ثم تاب عليهم ليتوبوا. ان الله هو التواب الرحيم فاخبر جل وعلا عن حال عن - 00:22:27

عن تأجيل التوبة عليهم وانهم مرجعون لما يريده الله بهم جل وعلا. ان شاء تاب عليهم وغفر لهم وان شاء عذبهم واخرون مرجون يعني مؤخرون من الارجاء وهو التأخير مرجونا وفي قراءة الهمزة المضمومة - 00:22:50

مرجونا لامر الله اما يعذبهم واما يتوب عليهم فهم مؤخرون لما يريده الله جل وعلا بهم. ان شاء جل وعلا عذبهم وهم فهم يستحقون ذلك وان شاء جل وعلا تاب عليهم وهو التواب الرحيم - 00:23:16

واما يتوب عليهم والله عليم حكيم. عليم بما في قلوبهم وقلوب غيرهم من العباد بعد عليم بما في نياتهم. عليم بما يكنونه ايعاملهم جل وعلا بمقتضى علمه. وهو حكيم جل وعلا - 00:23:39

يعفو عمن يستحق العفو ويعذب من يستحق العذاب فهو جل وعلا يتصرف عن حكمة يضع الشيء موضعه جل وعلا. لا تخفى عليه خافية. اما احوال العباد فيما بينهم في الدنيا - 00:24:03

فقد يعاقبون من لا يستحق العقاب وقد يشجعون من يستحق الاهانة وقد يعفون عمن يستحق العقاب وقد يكرمون من يستحق الاهانة لانهم لا يعلمون بما في ظمائرهم لهم الظاهر ولا يعلمون عما في في بواطنهم وفي قلوبهم - 00:24:25

واما في الدار الاخرة ومعاملة الله جل وعلا لعباده في الدنيا وفي الاخرة فعلى مقتضى حكمته وعلمه جل وعلا والله عليم حكيم صفتان للباري جل وعلا يجب علينا ان نثبت لله جل وعلا ما اثبت لنفسه من صفات الكمال وننفي عنه جميعا صفات النقص - 00:24:56

والعيب والاثبات كما تقدم غير مرة. الاثبات تفصيلي يعني نتوقف فيه على ما ورد وتوقيفي نتوقف على ما ورد عن الله في كتابه العزيز وعن رسوله صلى الله عليه وسلم - 00:25:27

واما النفي فاجمالا على حد قوله جل وعلا ليس كمثله شيء وهو السميع البصير. وناسبا ان يختم جل وعلا الاية بهاتين الصفتين العظيمتين لله جل وعلا حيث ان تأخير التوبة على هؤلاء لعلم وحكمة منه جل وعلا - 00:25:47

الحمد لله اعوذ بالله من الشيطان الرجيم واخرون مرجعون واما يتوب عليهم. والله عليم حكيم. قال العماد ابن كثير رحمه الله الله تعالى قال ابن عباس ومجاهد وعكرمة والضحاك وغير واحد هم الثلاثة الذين خلفوا اي عن التوبة - 00:26:14

وهم مرارة بن ود وهم مرارة بن الربيع وكعب بن مالك وهلال بن امية قعدوا عن غزوة تبوك في جملة من قعد كسلا وميلا الى الدعة والحفظ وطيب الثمار والظلال. لا شكا ونفاقا. فكانت منهم طائفة ربطوا انفسهم بالسواري كما فعل ابو لبابة - 00:26:44

باصحابه وطائفة لم يفعلوا ذلك. وهم هؤلاء الثلاثة الثلاثة المذكورون. فنزلت توبة اولئك قبل هؤلاء وارجي هؤلاء عن التوبة حتى نزلت الاية الاتية وهي قوله لقد تاب الله على النبي والمهاجرين - 00:27:09

والانصار الاية وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت الاية كما سيأتي بيانه في حديث كعب بن مالك وقوله اما يعذبهم واما واما يتوب عليهم اي هم تحت - 00:27:31

الله ان شاء فعل بهم هذا وان شاء فعل بهم ذاك ولكن رحمته رحمته تغلب غضبه والله حكيم حكيم اي عليم بمن يستحق العقوبة ممن يستحق العفو. حكيم في افعاله واقواله. لا اله الا هو - 00:27:51

ولا رب سواه والله اعلم وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى اله وصحبه اجمعين - 00:28:11